

سيرة الشهيد

فرقان الصنعاني

سليم أحمد محمد الهبة

بسم الله الرحمن الرحيم

" اللهم اذن لكتابك أن يسود، ولكتائب الحق أن تقود، وللخلافة أن تعود .." ..

كان يدعو ويلح على الله عز وجل بهذه الكلمات الصادقة، والمناجاة الجميلة، وذلك من وراء القضبان، في غياهب السجون وبحار الظلمات التي غُيب فيها بغير جرم ارتكبه إلا أنه أراد جهاد الصليبيين في أرض الرافدين،...

إنه الأخ الشهيد الحافظ المتقن لكتاب الله: سليم أحمد محمد الهبة الشرفي رحمه الله رحمة واسعة.

إن شئت أن تمتع ناظريك بقراءة سيرة شاب نشأ على مائدة القرآن.. خلقه القرآن.. ورفيق دربه القرآن.. وبذل دمه في سبيل رفع راية القرآن .. فتعال لنقرأ في هذه الصفحات القليلة سيرة هذا الأخ الشهيد الحافظ والذي تكنى بـ "فرقان" لا لشيء إلا لأنه أحب القرآن الكريم فقد نشأ عليه وأتقنه صغيرا.. وعلَّمه وعمل به شاباً فتيا .. وسكب دمائه من أجل تحكيمه مقبلاً غير مدبر. .

سكن الأخ سليم وعاش في صنعاء وتربى في مساجدها فنشأ في طاعة الله منذ نعومة أظفاره (ولم تعرف له جاهلية) كما وصفه صديقه ورفيق دربه أبو أيمن.

ففي رياض المساجد نشأ، وفي حلقات القرآن الكريم ترعرع منذ أن كان في عمر الثانية عشرة، فكان في هذه السن المبكرة جاداً مجتهداً في الحفظ والمداومة على المراجعة فحفظ القرآن الكريم وأتقنه أيما إتقان وهو ما يزال في المرحلة الأساسية من التعليم .

وكانت هذه النشأة من أكبر نعم الله على هذا الشاب الفاضل، إذ نشأ في رحاب القرآن الكريم ينهل من معينه، ويشرب من رحيقه، ويقضي جل وقته في حفظه ومراجعته، فأضاءت روحه بتعاليمه، وأشرقت نفسه بتوجيهاته، فكان من أفضل شباب حيه خلقا، وأحسنهم أخلاقا، وأكثرهم حياء وأدبا، وأعلاهم همة وجدا..

وخلال هذه الفترة كان يتابع الأفلام الجهادية التي تصدر عن المجاهدين في أفغانستان والشيشان والبوسنة .. بشغف شديد، وتطلع كبير، لليوم الذي يأتي ويكون فيه كهؤلاء الرجال، فقد أسرت مناظرهم عينه وخالط حبهم شغاف قلبه.

وما أن أكمل حفظ القرآن وأتم المرحلة الأساسية من التعليم حتى التحق بمعهد ابن الأمير الصنعاني للعلوم الشرعية بصنعاء، وذلك حباً للعلم الشرعي ورغبة في التفقه في الدين، فقد كان يعرف أن القرآن الكريم يدعوه لأكثر من مجرد حفظه وإتقانه.

وخلال دراسته في المعهد الشرعي كان رحمه الله رغم صغر سنه ينوب إمام مسجد النصر في الصلاة كما كان يصلي بالناس صلاة التراويح في كل عام؛ فقد رزقه الله صوتاً حسناً عذباً شجياً .. إضافة إلى ذلك كان مدرساً في حلقات القرآن الكريم في ذلك المسجد.

وبعد ثلاث سنوات من الجد والاجتهاد في معهد ابن الأمير الصنعاني للعلوم الشرعية تخرج من ذلك المعهد ليلتحق بمركز الدعوة العلمي بصنعاء ليكمل مشوار العلم فكان نعم الوعاء للعلم، إذ وافق شاباً حيياً كريماً ذا همة عالية، وأدب جم، فزاده العلم وقاراً وهمة وحباً لنصرة هذا الدين، وشوقاً للجهاد لإعلاء كلمة الله، تلك العبودية التي أحبها ولم تزل هدفاً يريد الوصول إليه، فكان يتابع أخبار المجاهدين في سبيل الله عن كثب، خصوصاً بعد غزوتي نيويورك وواشنطن ويتطلع شوقاً إلى نصرتهم.

غزت أمريكا بلاد الرافدين بعدها وعتادها وحلفائها وعملائها بعد غزو أفغانستان، في حملة صليبية هي أشرس حرب تشن على أمة الإسلام في هذا العصر.

هنا وفي هذا الوقت العصيب الذي تمر به الأمة الإسلامية تداعى شباب الإسلام من كل حدب وصوب لكسر شوكة الصليب على ضفاف الرافدين فرفعت راية الجهاد، وعلت صيحات الموحدين في تلك البقاع؛ فوجد "سليم" ما كان يحلم به ويتطلع إليه فاشتاقت نفسه إلى ساحات الوغى، وميادين النزال، وكيف لا تتطلع نفسه لعبودية الجهاد في سبيل الله وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم ما لصاحبه من عظيم الأجر والثواب، وجزيل الفضل والعطاء، وهنا تبرز نعمة حباها الله "لفرقان" حيث وفقه للعمل بما أوتي من علم، فكم من طالب للعلم ينفق أوقاته في تعلمه، ويتعب بدنه في تحصيله، ثم تظل تلك العلوم حبيسة العقول والصدور، لا تترجم إلى أفعال، ولا ترى في واقع أو حال، يقرأ الكثير منهم ما حكاه الله تعالى في كتابه الكريم عن صراع الأنبياء وأتباعهم مع أهل الطغيان وجنودهم، ثم يتصور أن تلك مجرد قصص تروى، مضى عليها الزمان وطوى.

أما فرقان فقد علم أن الله أنزل الفرقان ليحكم ويسود، وليكون قائداً له إلى رضوانه، فعمل بتعاليمه واستمسك بآياته، ولذلك أراد إعداد العدة والتدرب على السلاح؛ فكانت أول محطة في دربه ولاية مأرب، فشد الرحال إليها للإعداد وكان له ما أراد، فتدرب عند الأخ الشهيد البطل (علي بن مبارك) أبي أسامة المأربي رحمه الله تعالى.

وبعد أن تلقى بعض التدريبات وأعد العدة عاد إلى صنعاء ليجهز نفسه للسفر إلى العراق، ولكن طواغيت الأمن السياسي في صنعاء علموا أنه ذهب إلى مأرب وتدرب هناك، فما كان منهم إلا أن أسروه وأودعوه في السجن ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي السجن؛ ذلك المكان الذي يمحص فيه الرجال، وتتميز معادنهم خلف قضبانه، كان سليم من خير من في السجن خلقاً وأعلاهم همة كيف لا؟ وهو الذي قضى سجنه في تلاوة كتاب ربه وإتقانه، وتعليمه للشباب، كما أنه كان إماماً للصلاة في أي زنزانة يحل فيها، فما كان إخوانه يقدمون غيره في الصلاة، أضف إلى ذلك أنه كان بين الفينة والأخرى ينشد بصوته العذب فيروح على إخوانه بالنشيد.

وبعد سنة ونصف في سجون الطواغيت، وتحديداً بعد (الهروب الكبير) الذي هرب فيه ٢٣ مجاهداً من سجن الأمن السياسي بصنعاء، خرج سليم من السجن، خرج ثابتاً لم يغير ولم يبدل، وقام بعد فترة وجيزة

بالتواصل بقادة المجاهدين الذين هربوا من السجن وأعلمهم باستعداده للالتحاق بهم، ولكن ذلك لم يتيسر نظراً للظروف الصعبة في تلك الأيام.

ولما كان سليم صاحب همة عالية وهم كبير لنصرة الإسلام، قرر أن يحاول مرة أخرى السفر إلى العراق، فاستخرج بطاقة شخصية وجواز سفر بغير اسمه الحقيقي لكي لا يعرفه الأمن، وفعلاً استطاع الحصول على الجواز، وبينما هو يجهز نفسه للسفر، قدر الله أن يداهم الأمن السياسي منزل جاره الشيخ أبي الزبير عادل العباب حفظه الله، وعندما علم بذلك هرب لأنه كان على صلة بالشيخ، وكان معه في الهروب الأخ فهد الوحيشي، ويشاء الله بعد شهرين من الهروب أن يقع في الأسر فاعتقله الأمن السياسي في ولاية البيضاء، وعاد مرة أخرى إلى السجن.

فما كان من هذا الأخ الفاضل إلا أن استقبل هذه المحنة بالصبر والثبات والرضا واليقين فقد شهدت سجون الأمن السياسي بصنعاء ثبات هذا الأخ وصبره وهدوءه ويقينه وحسن خلقه وتفانيه في خدمة إخوانه وتعليمهم.

وقام جند الطاغوت حقداً منهم بمحاكمته على جواز السفر، ثم أصدروا أحكامهم الجائرة عليه بثلاث سنوات ونصف ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي مدرسة يوسف عليه السلام أشرقت نفس سليم بأخلاق الكتاب الكريم، فكان أنيسه في وحشته، ونوراً له في محنته، وتميز بأخلاقه الحسنة، وأدبه الجم، وتميز – خصوصاً – بصفة الحياء حتى أن كل من في السجن من الإخوة يحب أن يكون رفيقاً له في زنزانته.

أضف إلى ذلك أنه كان كما ذكرنا سابقاً صاحب صوت عذب شجي، فإذا تلى القرآن خشع كل السامعين، وإذا أنشد أنصت كل الحاضرين.

وكما أسلفت فأن هذه الأخلاق الرفيعة والصفات الحميدة كانت خلقاً اكتسبه سليم من كتاب ربه فقد كان من الذين هم { أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة : من الآية ٥٤].

وقد كان رحمه الله شديداً على أعداء الله في السجن؛ حتى أن مدير السجن كان يكره "سليم" كثيراً لأنه لا يسلم عليه ولا يتكلم معه.

كما أنه رحمه الله لم يكن يصبر على الخرافات والخزعبلات والضلالات التي كان يتفوه بها أتباع الحوثي، ففي أحد الأيام تربص هو وبعض الإخوة ببعض أتباع الحوثي بعد أن ولغوا بألسنتهم في عرض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوسعوهم ضربا، وأذاقوهم مهانة وذلا، وبسبب هذا الأمر زاده الطواغيت إيذاءً ومحنه.. فبعد هذه الحادثة أودعوه الزنزانة الانفرادية في الدور الأرضي (البدروم) وقيدوه وحرموا أهله من زيارته ومكث على هذه الحال عدة أشهر.

ولا أنسى تلك الأيام العجيبة الجميلة التي قضيتها معه في الزنزانة قبل خروجه من السجن رغم أنها قليلة.

فبعد أن قامت الثورات في بعض الدول العربية تم نقل سليم إلى الزنزانة التي أقيم فيها أنا وبعض الأخوة، وما أن أطل علينا بوقاره العجيب وبسمته التي لا تكاد تفارق محياه، حتى فرحنا فرحاً شديدا بمجيئه، فقد كنا في ضيق وكرب شديدين، في تلك الفترة، واعتبرنا مجيئه إلى زنزانتنا فرج وتيسير، وقمنا بتقديمه في الصلاة فكان يؤمنا، وقرأنا القرآن عنده لإتقان التلاوة، كما كان الإخوة يطلبون منه بين الفينة والأخرى أن ينشد لنا فكان يسارع بتنفيذ الطلب.

وكان رحمه الله يقنت في جميع الصلوات قبل السجود، يدعو الله بأن يفرج عنا وعن جميع الأسرى وأن يثبتنا على الحق ويرزقنا النصر ويمن علينا بالصبر ..

وفي أحد الأيام في صلاة العصر كان يقنت ونحن نؤمن من وراءه فكان مما قاله في دعائه في ذلك اليوم :

" اللهم اذن لكتابك أن يسود، وللخلافة أن تعود . . ولكتائب الحق أن تقود.." ..

وما هي إلا ساعة واحدة حتى جاء أحد العساكر ونادى باسمه وأخذه إلى زنزانة في الدور الأرضي الذي كان بانتظاره فيها ستة من إخوانه، وبعدها تم الإفراج عنهم، وخرج سليم بعد أن مكث في السجن أربع سنوات، أي أنه قضى في السجن أكثر مما حكم عليه الطواغيت من أحكامهم الظالمة الجائرة– وإلى الله المشتكى من أولئك الظلمة الفجرة–.

ساعات قليلة بعد القنوت الجميل والإلحاح على الله بالدعاء وإذا به يخرج من الظلمات إلى النور ويفرج الله عنه.

ثم ماذا بعد هذه المحن والابتلاءات ؟ هل قعد سليم؟ هل آثر الفانية على الباقية ؟كلا فقد كان صاحب نفس أبية عزيزة صاغها القرآن، فخرج مجاهداً مع كتائب الحق لكي يسود القرآن وتعود الخلافة لأهل الإيمان.

وانطلق كالليث مهاجراً تاركاً أهله ودنياه، قاصداً ولاية أبين بعد أن حررها المجاهدون من نظام الردة والخيانة آنذاك.

هاجر "سليم" والتحق بالمجاهدين في جزيرة العرب يحدوه كتاب الله الذي طالما أحيا به ليله ونهاره، تلاوة وتعلماً وتعليما.

نفر سليم للجهاد راجياً أن يسود كتاب ربه، الذي أحبه حباً جما.

فلا تسل عن البلاء الحسن الذي أبلاه في المعارك فتلك سجية متوقعة من هذا البطل المغوار، بل سل كيف سالت دماؤه، حيث انغمس في العدو كالليث يبتغي الموت مظانه، فقتل رحمه الله بعد أن أصيب في رأسه بطلقة قناص .. وكان ذلك أيام معارك وادي دوفس التي كانت من أشرس المواجهات التي يخوضها المجاهدون مع أعدائهم، فقد قتل في ذلك اليوم بعضاً من خيرة المجاهدين منهم القائد أبو أيمن المصري والأخ عائض الشبواني رحمهم الله.

فرحمك الله يا فرقان... يا حبيب القلب والروح .. يا رفيق القرآن، وهنيئاً لك بما وعدك الله فيه من الأجر والثواب، فصدقت وجاهدت وصبرت من غير تردد وارتياب، ونسأل من الله أن يجمعنا بك في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله. . فقد أحببناك وإنا لنود أن نلتقي بك تحت ظل عرش الرحمن .. كما نرجو أن يحقق الله ما كنت تدعو به أن يسود الكتاب وتعود الخلافة وما ذلك على الله بعزيز..

كان في السجن يجود ..
بالفضائل والوفاء ..
كان يدعو ربه قبل السجود :
ربي يا رحمان فأذن ..
للكتاب بأن يسود..
للخلافة أن تعود ..
للكتائب أن تقود..
فجأة جاء الفرج ..
فمضى حراً طليقاً..
شامخ الرأس عزيزاً..
في ثبات وصمود..
لم يطق ذل القعود ..
(انفروا) حثت خطاه
فانبرى مثل الأسود..
يطلب الموت مظانه ..
تُرهب الأعدا سهامه ..
غامساً فيهم حسامه . .
شب ناراً في الجنود ..
أمطروه بالرصاص
والقذائف كالرعود..
فارتقى للخلد سعيا..
راجياً كرم الودود..
إيه يا فرقان فاهنأ ..
بالحبور وبالسعود